استعان بأحد أبنائه للتفريق بين ابنه الآخر وزوجته ففقد الاثنين في لحظة واحدة

ديكتاتور بدرجة «أب»..!!

عادل بشر

قديما قالوا إن «الشخص لا يحب أحداً أكثر من نفسه سوى ابنه» وهذا المثل ينطبق على جميع الآباء إن لم نقل معظمهم.. ولكنه بعيد كل البعد من بعض أرباب الأسر الذين لا يعرفون شيئا اسمه «حب الأبناء واحترام رغباتهم» بل على العكس من ذلك نجدهم يتحولون إلى أعداء ألداء لأبناهم.. وقد تتطور تلك العداوة إلى نار ملتهبة تقضي على الجميع وتحل الكارثة على الأسرة كافة..!!

هذا ما حدث بالضبط لإحدى الأسر اليمنية التي أصابتها لعنة «الأب العدو» فمثلما كان هذا الأب سبباً في وجود هذه الأسرة.. كان أيضاً سبباً رئيسيا في تفككها والقضاء عليها فإلى تفاصيل المأساة:

نور الدين شاب ينتمي إلى أسرة يشتهر أفرادها بأنهم تجار ناجحون.. فوالده يمتلك العديد من المحلات التجارية في أكثر من مدينة يمنية بالإضافة إلى شراكته مع أحد التجار السعوديين في محل تجاري كبير بمدينة جدة السعودية.. وفوق كل ذلك يعتبر هذا الأب من الشخصيات الاجتماعية البارزة في منطقته.. وبخلاف كل هذه الامتيازات المادية عرف عن هذا الأب بأنه صارم جداً في علاقته بأبنائه وأفراد أسرته، المكونة من زوجتين وعشرة أبناء 4 «ذكور و6إناث» يعيشون في منزل واحد، حيث الديكتاتورية هي السائدة..!!

يحتل نور الدين المرتبة الثالثة بين أخوانه الذكور من حيث العمر، فأخوه الأكبر وهو من الزوجة الأولى ويبلغ من العمر «40» يعيش في المملكة العربية السعودية لإدارة تجارة الأب هناك والأخ الذي يليه يشرف على المحلات الرئيسية في اليمن بينما الأخ الرابع لا يزال في الصف الأول ثانوي.

بدأت مأساة نور الدين عندما قرر التمرد على المسار الذي رسمه له والده وسبق أن طبقه على أخويه الكبار والمتمثل بالعمل في التجارة «مهرة الأب والجد» كما يقولون، فرغم أن أخوانه الكبار يحملون الشهادة الجامعية إلا أن والدهم أجبرهم على وأد أحلامهم التي درسوا من أجلها والالتحاق بالمحال التجارية بصفتها من وجهة نظر الأب مستقبلاً مضموناً لهم ولأولادهم من بعدهم وحتى يظل الاسم التجاري للعائلة خالداً في عالم التجارة.

من جهة نور الدين أصر أن يحقق حلمه ويصبح طبيباً.. فقبل والده - على مضض - وعرض عليه أن يفتح عيادة طبية في منطقتهم وسيتولى الأب تكاليفها، غير أن نور الدين رفض ذلك وأخبر والده أن يريد أن يبني نفسه من الصفر.

دارت عجلة الأيام مسرعة نحو الأمام.. فانقضت سنوات الدراسة الجامعية وحصل نور الدين على الشهادة ولقب - دكتور - وهو اللقب الذي أصبح والده فيما بعد يتفاخر به وبأنه «والد الدكتور»..

بمجرد تخرجه من الجامعة عمل نور الدين في أحد المستشفيات الخاصة.. وكان على تواصل مستمر مع أسرته وبالأخص والده الذي رضخ للأمر الواقع..

وفي أحد الأيام قام الأب بزيارة ابنه إلى المستشفى وأخبره بأن الوقت أصبح مناسبا لأن يقوم بإكمال نصف دينه وأن يتزوج ويكون «عنده عيال».. وهمس الأب في أذن نور الدين باسم سيعدة الغفلة التي اختارها لتكون زوجة مناسبة لابنه وتليق باسم وشرف الأسرة الكريمة.. وأنه - أي الأب - سيتكفل بكل شيء وليس على نور الدين سوى الموافقة أو بالأصح إتمام الصفقة كون الفتاة المختارة من قبل الأب هي اسبنة أحد كبار التجار.

وقبل أن يكمل الأب كلامه قاطعه نور الدين طالباً منه ألا يشغل نفسه بهذا الأمر، وخصوصاً فيما يتعلق بـ«سعيدة الحظ» التي ستكون زوجة له.. وأخبر والده بكل صراحة أنه يحب زميلته في المستشفى ويرغب بالزواج منها وسبق أن فاتحها في هذا الأمر وأبدت موافقتها..

جن جنون الأب بسماعه هذه الكلام واشتعلت نيران الغضب في صدره خصوصاً وأنه كان قد تصرف من تلقاء نفسه وقام بخطبة ابنة التاجر كما كان يفعل مع ابنيه الكبار، غير متوقع رفض أبنه الأصغر نور الدين..

صرخ الأب بأعلى صوته في وجه ابنه وأنهال عليه بالشتائم واللعنات وهدده بـ«كسر رقبته ورقبة من يحبها» في حال أصر على كسر كلمة والده ورفض الزواج من ابنة التاجر..

دارت عجلة الزمن بشكل طبيعي، ومع كل يوم يمر تزداد قصة الحب بين نور الدين وزميلته قوة وصلابة.. وفي إحدى الليالي وبينما كان نور الدين مكلفا بالمناوبة في المستشفى حتى الصباح، فوجئ بحاله طارئة تصل المستشفى لشخص يوشك أن يغادر الحياة.. وكان من الضروري إجراء عملية جراحية عاجلة لهذا الشخص.. فأمر بإدخاله غرفة العمليات.. وتحضيره للعملية، وكون الوقت كان متأخرا ومعظم الأطباء والممرضين في منازلهم، فقد أضطر نور الدين إلى الاتصال بحبيبة قلبه ليس ليعبر لها عن مدى حبه وشوقه إليها وإنما ليطلب منها أن تحضر إلى المستشفى في أقصى سرعة لتساعده في إجراء العملية خصوصاً وأنها - أي الفتاة - كانت أكثر خبرة ومهارة في إجراء العمليات من نور الدين.

لم تمض سوى دقائق حتى حضرت الطبيبة إلى المشفى واشتركت مع نور الدين في إجراء العملية التي كللت بالنجاح وتم انقاذ الرجل من حفرة القبر التي كانت تنتظره في حال فشلت العملية الجراحية.

شاءت الأقدار أن يكون هذا الرجل هو التاجر إياه والد الفتاة التي قام والد نور الدين بخطبتها دون موافقة الآخر.

نظرا لحالته المرضية كان من الطبيعي أن يظل هذا التاجر لعدة أيام في المستشفى.. ورافقته زوجته في غرة خاصة به وخلال تلك الفترة تعمد نور الدين الظهور برفقة حبيبته وزميلته والاعتناء بصحة التاجر.. وبذلك فهم التاجر وزوجته أن الذي بين نور الدين والطبيبة أكبر بكثير من علاقة الزمالة.

بالإضافة إلى ذلك فقد استغل نور الدين امتنان التاجر لهما بانقاذهما حياته من الموت.. وأخبره بحقيقة علاقته مع الطبيبة واعتزامه الزواج منها.. وأنه يتأسف لقيام والده بخطبة ابنة التاجر من تلقاء نفسه.

لم تمض سوى أيام وعاد التاجر إلى منزله ثم التقى بوالد نور الدين وأخبره بكل ما حصل أثناء تواجده في المستشفى واقنعه بقبول رغبة ابنه والرضى عنه.. وبذلك آزال التاجر الحرج عن والد نور الدين فيما يتعلق بخطبة ابنته.

بعد بضعة أيام قام والد نور الدين بزيارة مفاجئة لابنه في المستشفى وطلب أن يقابل الطبيبة التي سرقت قلب ابنه ليخبرهما أنه موافق على زواجهما وأنه قد قام بتجهيز شقة خاصة بهما في منزله.

تمت مراسم الخطبة والزفاف بشكل سريع وانتقل نور الدين وزوجته للعيش في منزل والده المكون من أربعة طوابق ويضم جميع أفراد الأسرة بما فيهم أخوانه الكبار وأطفالهم.

بعد انقضاء شهر العسل وانتهاء الإجازة كان من الطبيعي أن يعود الطبيبان للعمل في المستشفى.. فكان نور الدين يغادر مع زوجته المنزل صباحا ويعودان عصراً بعد انتهاء الدوام فيجدان الطعام «وجبة الغداء» جاهزة وليس عليهما سوى تناولها.

مضت الأيام على هذا النحو.. غير أن زوجات أخوة نور الدين وذلك أخواته بدأن بالتململ من عدم اشتراك الزوجة الطبيبة في عمل المنزل.. ويوم بعد آخر تطور هذا الأمر إلى الشجار بين الزوجات و«الكنات»، أو بالأصح كن جميعاً في جبهة واحدة ضد زوجة نور الدين ولم تجد هذه الزوجة حلا سوى الطلب من زوجها الرحيل من منزل والده والسكن في منزل منفرد بعيداً عن المشاكل.. وافق نور الدين ثم اخبر والده بأنه سينتقل للعيش في منزل آخر.. وكان هذا الخبر بحد ذاته كفيل بإشعال غضب الأب الذي اعتبره تمردا على سلطاته وخروجاً عن طاعته، خصوصا وان احداً من أبنائه لم يجرؤ حتى مجرد التفكير بمثل هذا الأمر.

اصر نور الدين على رأيه وانتقل مع زوجته إلى سكنه الجديد بحثا عن حياة هادئة، غير ان والده لم يتركه في شأنه وسخر كل وقته لخلق المشاكل لابنه وزوجته وتدمير حياتهم الزوجية.

دشن الاب حربه ضد ابنه بالطعن في شخصية ابنه والادعاء بانه عديم الشخصية وان زوجته هي من تتحكم به ثم حاول التأثير على مالك المستشفى الذي يعملان فيه سواء بالترغيب أو الترهيب لفصلهما من الوظيفة، معتقدا انه في حال نجح في هذا الأمر، سيضطر ابنه إلى اللجوء إليه لطلب المال.. ولكن هذه الخطة باءت بالفشل لان مالك المستشفى رفض فصلهما.. وحين علم نور الدين بذلك ذهب إلى مكتب والده وانفجر من الغضب في وجهه بحضور عدد من التجار والشخصيات البارزة.. الأمر الذي اعتبره الاب اهانة كبيرة له.. وزاد ذلك من غضب الاب تجاه ابنه واصراره على تدمير حياة ابنه الزوجية.. ولتحقيق هذا الأمر فقد لجأ الاب الغاضب وبمشورة احد ابنائه من الزوجة الاخرى والذي عرف بحقده الشديد على نور الدين.. لجأ الاب إلى تشويه سمعة زوجة ابنه نور الدين واستخدام بعض ضعاف النفوس لبث الشائعات والادعاء بان زوجة نور الدين على علاقة مع بعض الشباب.

وبعد ان انتشرت هذه الشائعات أراد الاب ان يمثل دور الاب الحنون والغيور على سمعة ابنه فأخذ هو وابنه الاخر صاحب المشورة السوداء سلاحهما الشخصي وذهبا إلى المستشفى وأثارا المشاكل مع حراس المستشفى لاصرارهما الدخول حاملين الاسلحة بحجة قتل زوجة نور الدين والتخلص من العار الذي ألحقته بهما.. في تلك اللحظة تصدى لهما نور الدين وأكد لهما ان زوجته اشرف من الشرف وانهما من يقفان وراء الشائعات السوداء.

رجع الاثنان خائبين إلى المنزل.. وانتشرت اخبار حادثة المستشفى بسرعة وتلقى الاب الغاضب التوبيخ من بعض اصدقائه واقاربه جراء هذا التصرف الشنيع مؤكدين بأن زوجة ابنه ليست كما يشاع عنها وعليه ان يتركها في حالها.. فاعتبر الاب هذه التوبيخات بمثابة الاهانة له.. وكونه تعود ألا يكسر احد كلمته فقد قرر ان يثبت للجميع صحة كلامه حول زوجة ابنه.

وذات مساء تفوقت فيه ظلمة قلب الاب على سواد الليل توصل الاب إلى خطة رسمها له الشيطان بعناية فائقة دون ان يكشف له عواقبها.

وبعد يومين في وقت متأخر من الليل وبينما كان نور الدين في مناوبته الاسبوعية بالمستشفى وزوجته لوحدها في المنزل.. تعالت الصرخات من منزل الطبيب نور الدين لتشق سكون الحي الغارق في المنام.. فهرع الجيران إلى المنزل وكانت المفاجأة.. حيث وجدوا احد الاشخاص ملقى على الأرض مضرجا بدمائه والزوجة الطبيبة تصرخ في حالة هستيرية وفي يدها سكين تسيل الدماء منها.

تبادل الحاضرون نظرات ملؤها الشك حول الطبيبة وعلاقتها بهذا الرجل وتذكروا الشائعات المتداولة حولها.. وقبل ان يتعمقوا كثيرا في شكوكهم انتبهوا لصوت الرجل المقلى على الأرض يطلب منهم اسعافه إلى المستشفى متعهدا بأنه سيخبرهم بالحقيقة.

تم اسعاف الرجل إلى احد المستشفيات وتمكن الاطباء من ايقاف النزيف وفي نفس الوقت ابلغ الأهالي رجال الشرطة الذين حضروا مسرعين إلى المستشفى للتحقيق مع هذا الشخص.

وكانت المفاجأة الكارثة.. حيث اعترف المجني عليه ان والد نور الدين استأجره للتسلل ليلا إلى منزل نور الدين أثناء غيابه عن البيت وعمل فضيحة لزوجته الطبيبة بغرض تأكيد ما اشاعه الاب حولها واجبار الابن على طلاقها..!!

واقتضت الخطة ان يتسلل هذا الشخص بسرية إلى المنزل في وقت متأخر من الليل والاختباء حتى اذان الفجر ثم الخروج من باب المنزل مع ذهاب البعض لأداء صلاة الفجر، فيتعمد هذا الشخص ان يشاهده البعض وهو خارج من المنزل دون ان يتمكنوا من التعرف على ملامح وجهه.. غير ان الاقدار شاءت خلاف ذلك.. فقد نجح الشاب في التسلل إلى المنزل دون ان يشعر به احد بما في ذلك زوجة نور الدين، ولكنه لم يستطع السيطرة على نفسه فأراد ان يمتع نظره بجسد الطبيبة الفاتن وهو ملقى على سرير النوم.. وبدأ بالبحث في ارجاء المنزل عن غرفة النوم غير ان الطبيبة كانت قد شعرت بحركته فتسللت إلى المطبخ واخذت سكينا حادة وانتظرته حتى ظهر امامها لتباغته بطعنة قاتلة ثم بدأت بالصراخ حتى تجمع الجيران.

في الجانب الاخر كان نور الدين قد ابلغ بهذه الحادثة فهرع مسرعا للاطمئنان على زوجته ومعرفة منها ما حدث ثم ذهب إلى المستشفى الذي نقل إليه ذلك الشخص.. وعلم باعترافاته وبأن والده يقف وراء كل ذلك.

لم يحتمل نور الدين الصبر أكثر على تصرفات والده وقد وصل الأمر إلى استئجار شخص للاعتداء على زوجته والحاق الفضيحة بها فعاد إلى المنزل وبراكين الغضب تثور في صدره وحمل بندقيته وتوجه نحو منزل والده مقررا انهاء كل شيء.

في المنزل كان الاب ساهرا مع ابنه الاخر منتظرين خبر اجيرهم باتمام الفضيحة.. ولكنهم بدلا من ذلك فوجئوا بنور الدين يطرق الباب بقوة وينادي عليهم بأن يخرجوا لمواجته.

فتح الاب باب المنزل ولاحظ الشرر يتطاير من عيني نور الدين ورائحة الموت تفوح من فوهة البندقية.. فحاول الاب تهدئته والاقتراب منه.. وفجأة دوي صوت البندقية معلنا خروج رصاصة الموت، فتسمر الاب مكانه معتقدا ان الرصاصة اخترقت جسده ولم يشعر بها.. غير انه شعر بجسد ابنه نور الدين يسقط عند قدميه والحياة تفارقه ببطء فالتفت خلفه ليكتشف ان الرصاصة اطلقها ابنه الاخر على نور الدين بحجة حماية الاب من امكانية تعرضه للقتل بسلاح ابنه الطبيب.

حدثت هذه الجريمة أمام مرئ ومسمع جميع ساكني المنزل من أفراد الأسرة ومن بينهم والدة نور الدين التي لم تتحمل مشهد قتل ابنها أمام عينها.. فهرعت إلى عند جثة نور الدين تتحسسها ان كان لازال فيها نوع من الحياة وحين وجدت الروح قد غادرتها توا اخذت الام البندقية المددة إلى جوار جثة فلذة كبدها ووجهتها نحو اخوه ابن (طبيبتها) واطلقت منها رصاصة واحدة كانت كفيلة بأخذ روحه والثأر لابنها ثم ارادت اطلاق النار على الاب الواقف وسط مسرح الجريمة مذهولا غير ان بعض الجيران تمكنوا من منعها واخذ البندقية منها.

لم تمض سوى لحظات حتى حضرت الشرطة إلى مكان الحادثة وبعدها بدقائق وصل والد وأخوة واقارب زوجة نور الدين حاملين اسلحتهم يريدون الانتقام من ذلك الاب الذي شوه سمعة ابنتهم.. ولكنهم فوجئوا بمأساة ماحدث ولم يعد هناك من يمكن الانتقام منه خصوصا وان الاب من لحظتها فقد عقله مع فقدانه اثنين من ابنائه في لحظة واحدة كان الاب السبب الرئيسي فيها.

أعراسنا.. تقاليد ممزوجة بنكهة التنوع

لتضاريس اليمن وطبيعتها الجغرافية المتنوعة أثر كبير في تعدد طقوس الزواج من منطقة إلى أخرى، ولكن بصفة عامة تتشابه عادات وتقاليد الزواج في أغلب مدن اليمن حيث تبدأ بمرحلة الخطوبة بإرسال أحد المقربين من أهل العريس - أمه أو أخته - إلى أهل الفتاة المراد خطبتها لابنهم، وعند إبداء الموافقة المبدئية من والدة العروس وإشعار أهل العريس بذلك يتم تحديد يوما لحضور العريس ووالديه وإخوانه لمقابلة العروس وأهلها، حاملين معهم كمية كبيرة من (القات) كهدية للرجال، أما النساء فيقدم للعروس طقماً كاملاً من الملابس والأحذية مع تقديم طقم ذهب يسمى (شبكة الخطوبة) وبعد ذلك يتم تحديد موعد العقد بحضور أهل العروسين في منزل الفتاة ، ويتم تجهيز أكياس من الحلوى لنثرها فوق الحاضرين عند إكمال العقد الشرعي من المأذون ويكون لزاما على جميع الحاضرين مد أيديهم إلى الأرض لأخذ نصيبهم.

كتب/ محمد المطري

مراسيم الزواج

قبل العرس بيومين يجهز العريس وليمة في منزله لوالد العروس ووالدتها وإخوانها وأخوالها وأعمامها ، وفي مساء ذلك اليوم يتم عمل الحناء للعريس حيث يجتمع عنده أصحابه وأصدقاؤه ويقومون بتحنيته، وفي اليوم التالي وهو خاص بالعروس ويطلق عليه (يوم الأخضر) أو (يوم الغَسْل) أو (البدْعَة) تقوم العروس بارتداء اللباس الأخْضَر كاملا من رأسها وحتى قدمها ،ويتم تنقيبها بنقاب أخضر مزين بالذهب ابتداءً من العصر عند حضور الصديقات والقريبات والأهل للاحتفال معها ، ولا تكشف العروس عن وجهها في ذلك اليوم إلى المساء.

وفي صباح اليوم التالي الذي يسمى (يوم النقش) تذهب الفتاة من الصباح إلى (الكوافيرة) لتصفيف شعرها ، وعمل الماكياج اللازم ، وارتداء فستان الزفاف الأبيض ، ثم تنتقل مباشرة إلى صالة العرس في العصر حيث تسبقها إليها المدعوات ويكون العريس في قاعة أخرى مع المدعوين إلى المساء ، ثم ينتقل بعد صلاة العشاء إلى أمام منزله ليقف في وسط الشارع يحيط به المدعوون والمنشد مرددين الأناشيد لمدة ساعة تقريباً ثم يدخل إلى منزل الزوجية الذي تعد في إحدى غرفه كوشة يجلس فيها منتظراً حضور زوجته التي تأتيه في سيارة مزينة بعد أن تجولت في موكب كبير من السيارات في شوارع المدينة ثم تدخل إلى زوجها في تلك الكوشة ليكشف عن وجهها ويقرأ الفاتحة ويردد الدعاء الخاص بهذه المناسبة "اللهم إنW أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه"

اليوم التالي

في اليوم التالي الذي يعقب ليلة الزفاف يخرج العريس في الصباح إلى بيت والد العروس للسلام على عمه وعمته، ثم يأخذه أصدقاءه إلى أحد المتنزهات حتى وقت الظهر ثم يعود إلى منزله.

الشكمة

اليوم الثالث يسمى في بعض المناطق (الشكمة) وهو احتفال تقيمه والدة العروس لابنتها في منزل والدها حيث يتم دعوة جميع من حضر العرس لحضور هذا الاحتفال في بيت والدة العروس وعادة تأتي العروس إلى هذا الاحتفال وهي بلباس ثوب الزفاف ويستمر هذا الاحتفال من العصر وحتى المساء، حيث تعود إلى بيت زوجها.

عادات غريبة

توجد بعض العادات الغريبة في مناطق متفرقة باليمن منها على سبيل المثال حضور أهل العروس إلى منزل ابنتهم ثاني يوم الزفاف أي الصباحية ويسمى (يوم القهوة) حيث تحتفل العروس مع أخواتها وصديقاتها المقربين ، ويعطي العريس لحماته مبلغاً من المال يسمى (الفتحة) بشرط أن لا يكون الزوج قد لامس زوجته منذ الدخول عليها وحتى صباح هذا اليوم، ثم تجلس الأم بعد (الفتحة) سبعة أيام في منزل العروسين وفي اليوم السابع يذبح العريس لحماته رأس غنم ، ثم ترجع إلى بيتها محملة بهذا الطعام الشهي ، ولا تأتي العروس بيت والدتها إلا بعد شهر من الزواج على الأقل أو شهرين ويصل في بعض المناطق إلى سنة .